

تفسير البغوي

125 - قال ا [تعالیٰ { وإذ جعلنا البيت { يعني الكعبة { مثابة للناس { مرجعا لهم قال

مجاهد و سعيد بن جبیر : یأتون إلیه من کل جانب ویحجون وقال ابن عباس Bهما : معاذاً وملجأً وقال قتادة و عكرمة : مجمعا { وأمنا { أي مأمنا یأمنون فیہ من إیذاء المشركین فإنهم ما كانوا یتعرضون لأهل مكة ویقولون : هم أهل ا [ویتعرضون لمن حوله كما قال ا [تعالیٰ : { أولم یروا أنا جعلنا حرما آمنا ویتخطف الناس من حولهم { (67 - العنكبوت) . أخبرنا عبد الواحد الملیحی أنا أحمد بن عبد ا [النعمی أنا محمد بن یوسف أنا محمد بن اسماعیل أنا علی بن عبد ا [أنا جریر عن منصور عن مجاهد عن طاووس عن ابن عباس Bهما قال : قال رسول ا [A يوم فتح مكة : [إن هذا البلد حرمة ا [يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بحرمة ا [إلی يوم القيامة لا یعضد شوکه ولا ینفر صیده ولا یلتقط لقطته إلا من عرفها ولا یختلی خلاه فقال العباس : یا رسول ا [إلا الإذخر فإنه لقینهم ولبیوتهم : فقال رسول ا [A : [إلا الإذخر] .

قوله تعالیٰ { واتخذوا { قرأ نافع و ابن عامر بفتح الخاء علی الخبر وقرأ الباقون بكسر الخاء علی الأمر { من مقام إبراهيم مصلی { قال ابن یمان : المسجد كله مقام إبراهيم وقال إبراهيم النخعی : الحرم كله مقام إبراهيم وقیل : أراد بمقام إبراهيم جمیع مشاهد الحج مثل عرفة ومزدلفة وسائر المشاهد .

والصحيح أن مقام إبراهيم هو الحجر الذي في المسجد يصلي إليه الأئمة وذلك الحجر الذي قام عليه إبراهيم عليه السلام عند بناء البيت وقيل : كان أثر أصابع رجله بينا فيه فاندرس من كثرة المسح بالأيدي قال قتادة و مقاتل و السدي : أمروا بالصلاة عند مقام إبراهيم ولم يؤمروا بمسحه وتقيله .

أخبرنا عبد الواحد الملیحی أنا أحمد بن عبد ا [النعمی أنا محمد بن یوسف أنا محمد بن اسماعیل أنا مسدد عن یحیی بن حمید عن أنس قال : قال عمر بن الخطاب Bه : (وافقت ا [فی ثلاث - أو وافقني ربي في ثلاث - قلت یا رسول ا [لو اتخذت مقام إبراهيم مصلی ؟ فأنزل ا [تعالیٰ { واتخذوا من مقام إبراهيم مصلی { وقلت یا رسول ا [: یدخل علیك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنین بالحجاب ؟ فأنزل ا [D آية الحجاب قال وبلغني معاتبه النبي A بعض نسائه فدخلت عليهن فقلت لهن : إن انتهيتن أو لیبدلنه ا [خیرا منكن فأنزل ا [تعالیٰ : { عسی ربه إن طلقكن أن یبدله أزواجا خیرا منكن { (5 - التحريم) .

ورواه محمد بن اسماعیل أيضا عن عمرو بن عوف أنا هشیم عن حمید عن أنس Bه قال : قال عمر

واتخذوا { فنزلت مصلى إبراهيم مقام من اتخذت لو ا رسول يا قلت ثلاث في ربي وافقت : Bo من مقام إبراهيم مصلى } .

وأما بدء قصة المقام فقد روى سعيد بن جبير عن ابن عباس Bهما قال : لما أتى إبراهيم عليه السلام بإسماعيل وهاجر ووضعهما بمكة وأتت على ذلك مدة ونزلها الجرهميون وتزوج إسماعيل منهم امرأة وماتت هاجر واستأذن إبراهيم سارة أن يأتي هاجر فأذنت له وشرطت عليه أن لا ينزل فقدم إبراهيم مكة وقد ماتت هاجر فذهب إلى بيت إسماعيل فقال لامرأته : أين صاحبك ؟ قالت ذهب للصيد وكان إسماعيل عليه السلام يخرج من الحرم فيصيد فقال لها إبراهيم : هل عندك ضيافة ؟ قالت ليس عندي ضيافة وسألها عن عيشهم ؟ فقالت : نحن في ضيق وشدة فشكت إليه فقال لها : إذا جاء زوجك فأقرئيه السلام وقولي له فليغير عتبة بابه فذهب إبراهيم فجاء إسماعيل فوجد ريح أبيه فقال [لامرأته : هل جاءك أحد ؟ قالت : جاءني شيخ صفته كذا وكذا كالمستخفة بشأنه قال] فما قال لك ؟ قالت : قال : أقرئي زوجك السلام وقولي له فليغير عتبة بابه قال ذلك أبي وقد أمرني أن أفارقك الحقي بأهلك فطلقها وتزوج منهم أخرى فلبث إبراهيم ما شاء ا أن يلبث ثم استأذن سارة أن يزور إسماعيل فأذنت له وشرطت عليه أن لا ينزل فجاء إبراهيم عليه السلام حتى انتهى إلى باب إسماعيل فقال لامرأته : أين صاحبك ؟ قالت ذهب يتصيد وهو يجيء الآن إن شاء ا فانزل يرحمك ا قال : هل عندك ضيافة ؟ قالت : نعم فجاءت باللين واللحم وسألها عن عيشهم ؟ فقالت : نحن بخير وسعة فدعا لهما بالبركة ولو جاءت يومئذ بخبز بر أو شعير وتمر لكانت أكثر أرض ا برا أو شعيرا أو تمرا فقالت له : انزل حتى أغسل رأسك فلم ينزل فجاءته بالمقام فوضعت عن شقه الأيمن فوضع قدمه عليه فغسلت شق رأسه الأيمن ثم حولت إلى شقه الأيسر فغسلت شق رأسه الأيسر فبقي أثر قدميه عليه فقال لها : إذا جاء زوجك فأقرئيه السلام وقولي له قد استقامت عتبة بابك فلما جاء إسماعيل وجد ريح أبيه فقال لامرأته : هل جاءك أحد ؟ قالت : نعم شيخ أحسن الناس وجها وأطيبهم ريحا وقال لي كذا وكذا وقلت له كذا وكذا وغسلت رأسه وهذا موضع قدميه فقال : ذاك إبراهيم النبي أبي وأنت العتبة أمرني أن أمسكك .

وروي عن سعيد بن جبير / عن ابن عباس Bهما قال : ثم لبث عنهم ما شاء ا ثم جاء بعد ذلك وإسماعيل يبني نبلا تحت دومة قريبا من زمزم فلما رآه قام إليه فصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالولد ثم قال : يا إسماعيل إن ا تعالى أمرني بأمر تعينني عليه ؟ قال : أعينك قال : إن ا أمرني أن أبني ها هنا بيتا فعند ذلك رفعا القواعد من البيت فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني حتى ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له فقام إبراهيم على حجر المقام وهو يبني وإسماعيل يناوله الحجارة وهما يقولان (ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم) وفي الخبر : (الركن والمقام يا قوتتان من يواقيت الجنة ولولا

ماسته أيدي المشركين لأضاء ما بين المشرق والمغرب) .

قوله D { وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل } أي أمرناهما وأوحينا إليهما قيل : سمي

إسماعيل لأن إبراهيم كان يدعو إلى أن يرزقه ولدا ويقول : إسمع يا إيل وإيل هو إسماعيل فلما رزق سماه إسماعيل { أن طهرا بيتي } يعنى الكعبة أضافه إليه تخصيصا وتفضيلا أي ابنيه على الطهارة والتوحيد وقال سعيد بن جبير و عطاء : طهراه من الأوثان والريب وقول الزور وقيل : بخراه وخلقاه قرأ أهل المدينة وحفص (بيتي) بفتح الياء هاهنا وفي سورة الحج وزاد حفص في سورة نوح { للطائفين } الدائرين حوله { والعاكفين } المقيمين المجاورين { والركع } جمع راع { السجود } جمع ساجد وهم المصلون قال الكلبي و مقاتل : الطائفين هم الغرباء والعاكفين أهل مكة قال عطاء و مجاهد و عكرمة : الطواف للغرباء أفضل والصلاة لأهل مكة أفضل